(٦٣) يوسف بن أسباط[١]

ذكر الشيخ يوسف بن أسباط رحمه الله تعالى:

كان رحمه الله من زُهّاد القوم وعبّادهم، ومن التابعين، وليس فيهم أحدٌ بزهده.

وله في المراقبة والمحاسبة كمالٌ، وكان يُخفي حالَه ومعرفتَهُ، ويُديمُ الرياضة والانقطاع عن الدنيا.

وله كلماتٌ شافية.

وأدركَ كثيرًا من المشايخ الكبار رحمهم الله.

نقل أنه رحمه الله ورثَ سبعين ألفَ دِرهم، فصرفه على الفقراء والمساكين، ولم يُنفق منه على نفسه درهمًا، وكان ينسجُ السِّلال من ورقِ النخل ويتقوَّتُ به، ومضى عليه أربعون سنة، ولم يلبس قميصًا جديدًا؛ بل خرقةً عتيقة.

ونقل أنّه كان كتبَ إلى حُذيفة المرعشي: أنّي سمعتُ أنَّك بعتَ دينَك بحبَّتين، وذلك لأنَّكَ دخلتَ السوقَ لتشتري شيئًا، وصاحبُهُ ثمَّنَهُ بدرهمٍ، وأنت

---

(١) تاريخ ابن معين ٦٨٤، التاريخ الكبير ٨/ ٣٨٥، التاريخ الصغير ٢/ ٢٤٢، ضعفاء العقيلي ٤/ ٤٥٤، الجرح والتعديل ٩/ ٢١٨، مشاهير علماء الأمصار (١٤٩٠)، ثقات ابن حبان ٧/ ٦٣٨، الكامل في الضعفاء ٧/ ١٥٧، حلية الأولياء ٨/ ٢٣٧، صفة الصفوة ٤/ ٢٦١، المختار من مناقب الأخيار ٥/ ١٧٤، سير أعلام النبلاء ٩/ ١٦٩، ميزان الاعتدال ٤/ ٤٦٢، تهذيب التهذيب ١١/ ٤٠٧، نفحات الأنس ٥٥، طبقات الشعراني ٤٨٩، الكواكب الدرية ١/ ٤٨٩.

اختلفت المصادر في تحديد سنة وفاته؛ ففي ثقات ابن حبان ٧/ ٤٦٨: توفي سنة ١٩٥، وفي صفة الصفوة: توفي قبل المئتين بسنة، وفي الكواكب الدرية ١/ ٤٩٣: مات سنة ثنتين وتسعين ومئة.

قلت: بدرهمٍ إلاّ طسُّوجًا. وذلك الرجلُ كان يعرفك بالصلاح، فلذلك سامحَك طسُّوجًا[١].

وأيضًا كتب إلى المرعشي: من قرأ القرآن واختارَ الدنيا فهو مُستهزىءٌ به.

وقال: إنّي أخافُ أنَّ ما يظهرَ من حسناتنا يكونُ أضرَّ من سيئاتنا.

أقول: مرادُه أنَّ الحسنةَ إذا لم تكنْ لله فلا تنفعُ؛ بل تضرُّ كالسيئة، بل تكونُ أضرَّ منها، لأنَّ الرياءَ شركٌ خفيٌّ، فيفوحُ من العمل بالرِّياءِ رائحةُ الشركِ، بخلافِ السيئة مع الإسلام؛ فإنَّ صاحبَها يكون معتذرًا إلى الله، خائفًا منه. والله أعلم.

وقال: من يكونُ الدينارُ والدِّرهمُ عنده أعظمَ من أمورِ الآخرة، فكيف يكون راجيًا من الله في دينه ودنياه؟.

وكتب أيضًا إلى المرعشي: أما بعد، فإنّي أُوصيك بتقوى الله، والعملِ بما علّمك الله، والمراقبةِ بحيث لا يراكَ أحدٌ في تلك الحالة إلاّ الله، والتهيُّؤ لأمرٍ لا مدفعَ له عند حلوله، وحينئذٍ لا ينفعُ الندم.

وقال الشبلي رحمه الله: سُئل يوسفُ بن أسباط عن التواضع، قال: هو أنَّ الرجلَ كلَّما خرجَ من بيته، والتقى رجلاً اعتقدَ أنَّ ذلك الرجلَ خيرٌ منه.

وقال يوسف رحمه الله: قليلُ الورعِ يُجزي جزاءَ العملِ الكثير، وقليلُ التواضعِ يُجزي جزاءَ الجهاد.

وقال: علامةُ التواضع أن تقبلَ القولَ الحقَّ من كلِّ أحدٍ، وترفُقَ مع كلِّ أحدٍ، وتوقّرَ من هو أفضلَ منك، وإنْ ترَ منه زللاً بالنسبة إليك تصفحْ عنه، وتكظم الغيظ، وتكون رجّاعًا إلى الله في جميعِ الأحوال والأزمان والأماكن، وتكون مُتكبِّرًا على الأغنياء، شاكرًا لله تعالى على أيِّ شيءٍ يصلُ إليك[٢].

---

(١) الطَّسُّوج: ربع دانق، معرب. القاموس.

(٢) في هامش (أ): أي شيء إذا وصل إليك.

وقال: للتوبة عشرةُ مقامات: البعدُ عن الجاهلين، وتركُ الأباطيل، والإعراضُ عن المنكرات، والاشتغالُ بالمستحبّات، والتعجيلُ في الخيرات، وتصحيحُ التوبة، واللزومُ عليها، وردُّ المظالم، واغتنامُ الأوقات، وتصفيةُ الأوقات.

وقال: علامةُ الزهد عشرةٌ: تركُ الموجود ما سوى الحقِّ، والإعراضُ عن المقصود، وخدمةُ المعبود، وإيثارُ المولى، وصفاءُ المعنى، والتعزُّزُ بالعزيز، واحترامُ المشفق، وتقليلُ المباح، وطلبُ الأرباح، واستراحةُ القلب.

وقال: من علامة الزهدِ أن يعلمَ العبدُ أنّه لا يقدرُ على الزهد إلاّ بالمنِّ[1] مع الله تعالى.

وقال: علامة الورع عشرةٌ: التأخُّرُ عن المُتشابهات، والخروجُ عن الشُّبهات، والمعالجةُ والتفتيشُ[2]، والاحترازُ عن التشويش، وارتجاءُ الزيادة، والمداومةُ على رضا الرحمن، والتعلّقُ بالأمانات ـ أي بأحكام الشرع من الصفاء ـ والإعراضُ عن مواضع الآفات، وطُرق العاهات، والتحاشي عن المباهاة.

وقال: علامةُ الصبر عشرة: حبسُ النفس، والإحكام والاستحكام في السرِّ، والمداومةُ على طلب الأُنس، ونفيُ الجزع، والمحافظةُ على الطاعات، والاستقصاءُ في الواجبات، والصدقُ على الطاعات في المعاملات، وطولُ القيام في المجاهدات، وإصلاحُ الجنايات[3].

وقال: لا يمحو الشهوةَ من القلب إلاّ خوفٌ ينَبعثُ في القلب من اختيارٍ أو رضًا أو شوقٍ يسلب عنه القرار.

---

(١) في (أ): إلا بالأمن مع الله.
(٢) في (أ): والمبالغة والتفتيش.
(٣) كذا هي في الأصل تسع علامات.

وقال: للمراقبةِ علاماتٌ: اختيارُ ما اختارَ الله تعالى، وإجادةُ العزم إلى الله تعالى، والعلمُ بأنَّ الله تعالى هو المُعطي للكمال والنقصان، والاطمئنانُ بالله، والانقطاعُ عمّا سواه.

وقال: للصدق علاماتٌ: موافقةُ القلب واللسان، والقولِ مع الفعل، وتركُ طلبِ المحمدة في الدنيا، والإعراض عن الرئاسة، وإيثارُ الآخرة على الدنيا، وقهرُ النفس.

وقال: للتوكُّلِ عشرُ علامات: الاطمئنانُ بما ضمنَ اللهُ به، واحتمالُ ما يصل من الشريف والدنيِّ[1]، والتسليمُ بما يكون، وتعلّقُ القلب بما بين الكاف والنون، ورسوخُ القدم في العبودية، والتحاشي عن الفرعونية، وتركُ الاختيار، وقطعُ العلائق، وتركُ الرجاء عن الخلائق، وربطُ القلب بالحقائق، وطلبُ الدقائق[2].

وقال: ينبغي للسالكِ أن يعمل عمل رجلٍ لا ينجو إلاّ بذلك العمل، وأن يتوكّلَ على الله مثلَ توكُّلِ من يعلمُ أنّه يصلُ إليه ما كتبَ اللهُ له في الأزل، وحكم عليه.

وقال: علامةُ الأُنس طولُ الجلوس في الخلوات، والوحشةُ من المخالطات، وإدراكُ لذّة الذكر، ووجدانُ الرَّاحةِ في المُجاهدة، والتشبُّثُ بالطاعة.

وقال: علامُة الحياء: انقباضُ النفس، ورؤيةُ عظمة الله تعالى جلَّ جلاله، ووزنُ الكلام قبل القولِ، والاجتنابُ عمّا يُوجبُ الاعتذار، وتركُ الخوض فيما يوجب الخجلة، وحفظُ اللسان والعين والإذن والبطن والفرج، وتركُ زينة الحياة الدنيا، وتذكّرُ الموت والموتى.

---

(١) في (أ): الشريف والدون.

(٢) كذا هي في الأصل إحدى عشرة علامة.

وللشوق علامات: محبّةُ الموت وقت الراحة، وكراهةُ الحياة وقتَ الصحة، والأُنسُ بذكر الله، والطربُ وقتَ الفكر.

رحمه اللهُ رحمةً واسعةً، وجعلنا من المُستأنسين بذكره، المشغولين مدَّة الحياةَ بذكره، ورزقنا عيشةً راضيةً مرضيَّةً، وحياةً طيِّبةً هنية، وحشرنا مع أحبَّتنا وآبائنا وأمهاتنا في زمرة أُمّةِ نبيِّنا محمد ﷺ وآله وصحبه أجمعين، وسلّم تسليمًا كثيرًا.

* * *